في الخارج بخلاف قول الله الذي خلق فإنها آية محكمة ليس فيها تشابه فإن هذا الاسم
مختص بالله ليس مثل أنا ونحن التي تقال لمن له شريك ولمن له أعوان يحتاج إليهم والله تعالى
منزه عن هذا وهذا كما قال قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة
في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير وقال وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك الآية فالمعنى الذي يراد به هذا في حق المخلوقين لا يجوز
أن يكون نظيره ثابتا لله فلهذا صار متشابها وكذلك قوله ثم استوى على العرش فإنه
قد قال واستوت على الجودي واستوى على سوقه وقال فإذا استويت أنت ومن معك وقال
لتستووا على ظهوره فهذا الاستواء كله يتضمن حاجة المستوي إلى المستوى عليه وأنه
لو عدم من تحته لخر والله تعالى غني عن العرش وعن كل شيء بل هو سبحانه بقدرته يحمل العرش
وحملة العرش وقد روي أنهم إنما أطاقوا حمل العرش لما أمرهم أن يقولوا لا حول
ولا قوة إلا بالله فصار لفظ الاستواء متشابها يلزمه في حق المخلوقين معان ينزه
الله عنها فنحن نعلم معناه وأنه العلو والاعتدال لكن لا نعلم الكيفية التي اختص بها
الرب التي يكون بها مستويا من غير افتقار منه إلى العرش بل مع حاجة العرش وكل شيء
محتاج من كل وجه وإنا لم نعهد في الموجودات ما يستوي على غيره مع غناه عنه و
حاجة ذلك المستوى عليه إلى المستوي فصار متشابها من هذا الوجه فإن بين
اللفظين والمعنيين قدرا مشتركا وبينهما قدرا فارقا هو مراد في كل منهما ونحن
لا نعرف الفارق الذي امتاز الرب به فصرنا نعرفه من وجه ونجهله من وجه وذلك
هو تأويله والأول هو تفسيره وكذلك ما أخبر الله به في الجنة من المطاعم والمشارب
والملابس كاللبن والعسل والخمر والماء فإنا لا نعرف لبنا إلا مخلوقا من ماشية يخرج
من بين فرث ودم وإذا بقي أياما يتغير طعمه ولا نعرف عسلا إلا من نحل تصنعه في
بيوت الشمع المسدسة فليس هو عسلا مصفى ولا نعرف حريرا إلا من دود القز وهو
يبلى وقد علمنا أن ما وعد الله به عباده ليس مماثلا لهذا لا في المادة ولا في الصورة
والحقيقة بل له حقيقة تخالف حقيقة هذه فمعرفة تلك هو من التأويل الذي لا نعلمه نحن
قال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء لكن يقال فالملائكة قد تعلم
هذا

هذا فيقال هي لا تعلم ما لم يخلق بعد ولا تعلم كل ما في الجنة والضحى من النعيم ما لا تعرفه
الملائكة وإن تمثلت بنا ولو هذا كله وإذا قدر أنها لا تعرف ما لا نعرف فذاك لا يكون
من المتشابه عندها ويكون من المتشابه عندنا فإن المتشابه قد يراد به ما هو صفة
لازمة للآية وقد يراد به ما هو من الأمور النسبية فقد يكون متشابها عند هذا ما لا يكون
متشابها عند هذا وكلام الإمام أحمد وغيره من السلف يحتمل أن يراد به هذا فإن أحمد
ذكر في رده على الجهمية أنها احتجت بثلاث آيات من المتشابه قوله وهو الله في السموات
وفي الأرض وقوله ليس كمثله شيء وقوله لا تدركه الأبصار وقد فسر أحمد قوله وهو
الله في السموات وفي الأرض فإذا كانت هذه الآيات مما علمنا معناها لم تكن متشابهة
عندنا وهي متشابهة عند من احتج بها وكان عليه أن يردها إلى ما يعرفه من المحكم
وكذلك قال أحمد في ترجمة كتابه الذي صنفه في الحبس وهو الرد على الزنادقة و
الجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله ثم فسر أحمد تلك الآيات
آية آية فبين أنها ليست متشابهة عنده بل قد عرف معناها وعلى هذا فالراسخون
في العلم يعلمون تأويل هذا المتشابه الذي هو تفسيره وأما التأويل الذي هو
حقيقته الموجودة في الخارج فتلك لا يعلمها إلا الله ولكن قد يقال هذا
المتشابه الإضافي ليس هو المتشابه المذكور في القرآن فإن ذلك قد أخبر الله أنه لا
يعلم تأويله إلا الله وإنما هذا كما يشكل على كثير من الناس آيات لا يفهمون معانيها
وغيرهم من الناس يعرف معناها وعند هذا فقد يجاب بجوابين أحدهما
أن يكون في الآية قراءتان قراءة من يقف على قوله إلا الله وقراءة من لا يقف عند قوله و
الراسخون في العلم وكلتا القراءتين حق ويراد بالأولى المتشابه في نفسه الذي استأثر
الله بعلم تأويله ويراد بالثانية المتشابه الإضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره
وهو تأويله ومثل هذا يقع في القرآن كقوله وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال
لتزول فيه قراءتان بالنفي والإثبات وكل قراءة لها معنى صحيح وكذلك القراءة
المشهورة واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقرأ طائفة من السلف
لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وكلا القراءتين حق فإن الذي يتعدى حدود الله هو

Copyright © King Saud University